المحاضرة الأولى

فقه اللغة (مفهومه، نشأته، الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة)

أولا: مفهوم مصطلح فقه اللغة:

أ- لغة:

1-تعريف كلمة (فقه): الفقه هو العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة فيه. يقال: فقه الرجل فقاهة إذا صار فقيها، وفقه: أي فهم و فقه. و بعض العلماء يرى أن الفقه أخص من العلم، قال الراغب الأصفهاني: "الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم".

وقد وردت مادة (فقه) في القرآن الكريم عشرين مرة تحمل المعاني السابقة، فمن ذلك قوله تعالى: (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا). وقوله عز وجل: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) وقوله تعال: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم).

وورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله: "من أراد الله به خيرا فقهه في الدين"

ومن هنا يتبين لنا وجود مطابقة من الناحية اللغوية بين الفقه والعلم، و كذا أخذ عدد من العلماء والباحثين اللغويين، فلم يفرقوا بين العلمين، وإنما جعلوا (فقه اللغة وعلم اللغة) مصطلحين لمفهوم واحد أو علم واحد.

وقد غلب استعمال (الفقه) على علوم الدين لشرفها.

2-**تعريف كلمة(لغة)** : اللغة مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلم فمعناها الكلام، فهذا تعريفها في اللغة أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره ابن جني في كتابه (الخصائص) حيث قال: " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ". وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم، وهو يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة:

أ_أصوات منطوقة.

ب وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض.

ج وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها.

د- وأن لكل قوم لغة.

فهذه هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة اللغة تتوسع، فتدخل في اللغة كل وسيلة تفاهم، ولا تقتصر على الأصوات، فتجعل فيها الإشارات، وتعبيرات الوجه، ودقات الطبول وغيرها، فالأشهر هو حصر اللغة في الأصوات، لأن غيرها من الوسائل محدودة .

وعرفها ابن الحاجب بأنها: "كل لفظ وضع لمعنى"، ويراها بعض المحدثين: "أنها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين" . ويراها آخر بأنها: "معنى موضوع في صوت ".

ب - اصطلاحا: يطلق فقه اللغة في الاصطلاح على العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وفي خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، وما ينشأ من لهجات ، فيبحث في المعجمات والمفردات من حيث المعنى والأصالة والاشتقاق والنحت والترادف وغيرها. كما يبحث في وظيفة اللغة و أصلها ومصادرها، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك، ويمكن أن يعرف تعريفا موجزا، فيقال: " هو العلم الذي يعنى بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، وموضوعاتها ".

ثانيا. نشأة مصطلح فقه اللغة:

مصطلح فقه اللغة قديم عند العرب عرفته الدراسات اللغوية منذ وقت مبكر ويمكن القول إن رسائل الأصمعي (ت 215 ه) في الاشتقاق هي أقدم نتاج وصلنا من هذه الدراسات ، ثم جاء بعده ابن جني (ت392 ه) الذي ألف كتاب الخصائص وضمنه الكثير من البحوث اللغوية، ويؤلف ابن فارس (ت 395 ه) كتابه الموسوم ب(الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها) ضمنه كثيرا من مسائل فقه اللغة العربية، ثم وضع كتابا آخر عنوانه (مقاييس اللغة) ناقش فيه موضوعين يعدان من صميم فقه اللغة هما الأصول والنحت، ويضع أبو منصور الثعالبي (ت429ه) كتابه الموسوم ب(فقه اللغة وسر العربية) ضمنه مباحث تتعلق بفقه اللغة ، وينشئ ابن سيده (ت 458 ه) كتابه المخصص وفيه عرض لبعض المباحث المتعلقة بنشأة اللغة العربية وبعض الظواهر اللغوية ،ويعد كتاب السيوطي (ت 211ه) الموسوم ب(المزهر في علوم اللغة وأنواعها من أغنى الكتب المتقدمة مادة ومضمونا، إذ ضمنه مباحث تتعلق بفقه اللغة مثل البحث في نشأة اللغات وتداخلها والفصيح والمصنوع والمستعمل والمهمل والحوشي والغريب والمعرب والمولد والاشتقاق والترادف والمشترك والتضاد...

أما المحدثون من العرب فلهم جهود قيمة في التأليف في موضوعات فقه اللغة نذكر منهم : الدكتور إبراهيم أنيس، ومن أشهر مؤلفاته الأصوات اللغوية، و من أسرار اللغة، وفي اللهجات العربية. والدكتور إبراهيم السامرائي ومن أشهر مؤلفاته : دراسات في اللغة، التطور اللغوي التاريخي، مباحث لغوية. والدكتور أحمد مختار عمر ، ومن أشهر مؤلفاته : دراسة الصوت اللغوي، علم الدلالة، البحث اللغوي عند العرب. والدكتور تمام حسان، ومن أشهر مؤلفاته مناهج البحث في اللغة، اللغة العربية معناها ومبناها. و الدكتور رمضان عبد التواب ومن أشهر مؤلفاته التطور اللغوي وقوانينه، فصول في فقه اللغة العربية، لحن العامة والتطور اللغوي. والدكتور علي عبد الواحد وافي، ومن أشهر كتبه فقه اللغة وعلم اللغة. والدكتور كمال بشر ومن كتبه قضايا لغوية، دراسات في علم اللغة.

ثالثا-الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة:

أ- تعريف علم اللغة:

هناك مصطلح آخر يرد في بعض المؤلفات الحديثة مقابلا لمصطلح فقه اللغة ألا وهو علم اللغة ويعرف بأنه العلم الذي يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها. أو هو العلم الذي يتخذ اللغة موضوعا له، بمعنى أنه العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية قائمة على الضبط، والتنظيم وفق مناهج وأسس وقواعد علمية دقيقة. ويدرس كل لغات المجتمعات الإنسانية، ولهجاتها المختلفة مهما كانت غنية، أو فقيرة، أو راقية، أو وضيعة. فيهتم علم اللغة في دراسته للغة من ناحية مستوياتها المختلفة مثل أصواتها Phonetics وصرفها Morphology ونحوها Syntax، ودلالتها Semantics، وأساليبهاStyle. و كيفية استخدام الناس لها وعلاقتها بغيرها وتطورها،

وأثر المجتمع عليها وأثرها عليه، واختلاف لهجاتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى ، وغيره من جوانب كثيرة ومتعددة . ويتم كل ذلك وفقا لمنهج من مناهج الدرس اللغوي المعتمدة الموثقة القائمة على الضبط والتنظيم.

إذن علم اللغة هو العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقاتها بالنظم المختلفة بهدف الوصول إلى القوانين العامة التي تجري عليها اللغة موضوع الدراسة. وبناء على ذلك فعلم اللغة لا يختص بلغة بعينها، بقدر ما يتخذ من اللغة الإنسانية المطلقة موضوعا له، أي لغة مهما كان فقرها أو غناها، وسموها أو ضعتها .

ب ـ الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة:

بعض المؤلفين المحدثين يفرقون بين المصطلحين، وبعضهم يجعلهما شيئا واحدا، باعتبار أن العلم والفقه شيء واحد، كما هو عند صبحي صالح ومحمد المبارك،فالكلمتان من الناحية اللغوية معناهما واحد، وقد وردا في تراثنا العربي كذلك، فلابن فارس كتاب: (الصاحبي في فقه اللغة) وللسيوطي كتاب: (المزهر في علوم اللغة). ولم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس، بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة: من خدمة العربية، وبيان خصائصها والوقوف على سنن العرب في كلامهم، والحديث عن القضايا اللغوية العامة. فإذا استخدم مصطلح فقه اللغة باعتباره شاملا لدراسة اللغة بعامة فهو الأنسب، لأنه مستخدم في عربيتنا، وارد في تراثنا. وإذا استخدم اصطلاح (علم اللغة) فإنما يعنى به المرادف لفقه اللغة بناءا على المعنى اللغوي.

ولقد حصل خلط بين المصطلحين السابقين بسبب ترجمة بعض المصطلحات الغربية ومحاولة تطبيقها على لغتنا، فالغربيون يفرقون بين علمين يتناولان اللغة ، أحدهما: يعنى بدراسة النصوص اللغوية القديمة، واللغات البائدة، ويهتم بالتراث، والتاريخ، والنتاج الأدبي واللغوي، وقد ترجم هذا باسم (فيلولوجيا/Philology).

والثاني: يعنى بدراسة اللغة في ذاتها: وصفا وتاريخا، ومقارنة، ودراسة للهجات والأصوات مستعينا بوسائل علمية، وآلات حديثة (علم اللغة /Linguistics).

ولو رجعنا الآن إلى التمييز بين فقه اللغة وعلم اللغة يمكن أن نذكر أن الفروق تتجلى فيما يلي:
1- يعتمد علم اللغة المنهج الوصفي الآني للنصوص اللغوية، بينما يعتمد فقه اللغة المنهج التاريخي التطوري المقارن.

2- تنصب الدراسة في علم اللغة على النصوص الحية وخاصة الشفوية منها، في حين نجدها تهتم في فقه اللغة بالنصوص المكتوبة والقديمة بشكل خاص بالإضافة إلى المخطوطات والنقوش.

3- يهدف علم اللغة إلى دراسة النظام اللغوي في البنية اللغوية. بينما يهدف فقه اللغة بالإضافة إلى دراسة اللغة بحد ذاتها إلى الوصول إلى معلومات تتعلق بالتاريخ و الثقافة، والعادات والتقاليد وغير ذلك مما يمكن استنباطه من النص اللغوي، وهنا تتخذ اللغة باعتبارها وسيلة، بينما هي حسب منهج علم اللغة غاية بحد ذاتها.

4- يهتم فقه اللغة بدراسة اللغة في جوانبها الخارجية أي منطلقها الذي انطلقت منه وطبيعة الشعوب التي تتكلم بها و تاريخ تداولها ونشأتها، أما علم اللغة فيدرس الظاهرة اللغوية دراسة موضوعية في ذاتها ولذاتها.

5- فقه اللغة سبق من الناحية الزمنية علم اللغة الذي جاء لتوضيح التركيز اللغوي دون غيره.